نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر

مطبعة الفنون المصورة [٨٦ ص القسم العربي مع الذيل والفهارس و٥٢ ص الترجمة الاسبانية
بوسكا ٠ العرائش (المغرب) ١٩٦٠م

ما تزال نكبة الأندلس ونزوح العرب عنها النزوح المعروف أمره درساً ماثلاً في نفس كل عربي يثير فيها العبرة والدمعة معاً ٠

ولعل اغرب مافي هذا الدرس تلك الفوارق العظمى بين معاملة العرب للاسبان حين دخلوا بلادهم فاتحين ومعاملة الاسبان للعرب حين جلوا عنها نازحين ٠

وهذا كتاب لمؤلف مجهول حضر الوقائع الأخيرة بين العرب والإسبان وشاهد عن كثب ما صب على رؤوس المسلمين من البلاء من تقتيل وتعذيب ونهب اموال وسبي نساء وذراري ، واجلاء عن الاوطان واستباحة لحرمات المعابد والأديان ، ثم تفنن في استئصال البقية الباقية من شيوخ لا حول لهم على مشاق السفر وأطفال وأرامل أقعدهم الضعف [١] ، فكل يوم احالات بالمئات على محاكم التفتيش وكل يوم احراق وصلب وتعذيب في الساحات العامة حتى سئم الإسبان أنفسهم هذه المجازر البشرية التي راجت سوقها والتي أحرزت بها حكومة الإسبان حينئذ قصب السبق في الوحشية والقسوة والظلم ٠

واليك كلمة المؤلف نفسه عن موضوع كتابه وخطته فيه قال : « اما بعد فهذا كتاب اذكر فيه نبذة من بعض تواريخ ما وقع في مدة الأمير أبي الحسن علي بن نصر ٠٠٠ ابن الملوك النصريين ، ومدة ملك ابنه محمد وأخيه محمد أيضاً رحمهما الله ، وكيف استولى العدو على جميع بلاد الأندلس في تلك المدة ٠ وعولت في ذلك على الاختصار وتركت التطويل والاكثار » [٢]

---

(١) ص ٦٦ ، ٦٥ (٢) ص (١)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجد في هذا الكتاب تفصيل حصار مدينة الحمة وموقعة لَوْشة وانتصار المسلمين وفرار ابني الأمير وتألب أهل وادي آش وغرناطة معها وموقعة بلّش وموقعة اللسانة واستيلاء النصارى على حصن قرطمة ودكوين والرندة وموقعة المكنين ، واستيلاء النصارى على حصن قنبيل ولوشه وإلبيرة — وحصار مدينة مالقة والبسطة وحصن الشلوبانية ثم حصار غرناطة وتسليمها .

وفي خلال ذلك تشاهد من ضروب البطولة التي أبداها العرب على قلتهم ما ميزهم من جميع الأمم ولكن أمرهم كان الى إدبار . وأشد ما يفجعك هو خروج الخارجين على الأمراء وانقسام هؤلاء العرب القليلين بعضهم على بعض ، واستعانتهم بعدوهم على قومهم واهل ملتهم حتى اذا انتهيت الى آخر الكتاب لم تملك دمعتك حين ترى آخر ملوك غرناطة يستعين بملك قشتالة على عمه وحين تشعر بخبث ملك قشتاله وروغانه وضربه أحدهما بالآخر حتى أضعف الأميرين معاً وذهبت القتلى من حزبيهما بالآلاف فكان ذلك اكبر العون في سقوط غرناطة آخر بلدة مسلمة في يد الإسبان .

وفي آخر الكتاب فصل قيم النائدة في (نزوح مسلمي الأندلس الى المغرب) وبيان المواطن التي حلها أهل كل بلد من الأندلس في المغرب . وتحس في عدة مواضع من الكتاب أن مؤلفه كتبه وهو يتحرق من الألم والتفجع وتجزم حين تقرؤه أن قلبه يكاد يتفطر من لوعته وأن عبرته ما ترقأ ، اسمعه وقد صور لنا غدر ملك قشتاله بعد ان عاهد المسلمين المستضعفين وسلم لهم بكل شروطهم كيف « اخذ في نقض الشروط شرطاً شرطاً وبجلها فصلاً فصلاً الى أن نقض جميعها وزالت حرمة الإسلام عن المسلمين وأدركهم الهوان والذلة ... ثم دعاهم الى التنصر واكرههم عليه فدخلوا في دينه كرها وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبق من يقول فيها : (لا إله الا الله محمد رسول الله) جهراً .. وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فكم فيها من عين باكية وقلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعدمين لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين ! قلوبهم تشتعل ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً مدراراً وينظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان ويأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر ... فيالها من فجعة ما أمرها ومصيبة ما اعظمها واضرها وطامة ما اكبرها ... وعم الكفر جميع القرى والبلدان وانطفأ من الاندلس نور الإسلام والايمان ، فعلى هذا فليبك الباكون ولينتحب المنتحبون فإنا لله وإنا اليه راجعون.[1]

***

نشر هذا الكتاب الأستاذ ألفريد البستاني من عدة مخطوطات وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه وهو من منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للابحاث العربية الاسبانية بطنجة (المغرب) وتقرأ في مقدمة النشر كيف حصل على هذه المخطوطة التي اعتمدها والتي كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة .

هذا ولست أقر الناشر في حكمه على بيان المؤلف بقوله : « أما من حيث اللغة فالاضطراب ظاهر في جميع النواحي »[2] ففي هذا الحكم مبالغة شديدة لأن الهفوات اللغوية من استعماله ضمير العقلاء لغيرهم كقوله (وهدمهم [يعني الأبراج] ص ٣٤) وحذفه نون الأفعال الخمسة من غير أن تسبق بناصب او جازم كما سنشير اليه ، هذه الهفوات قليلة ولعلها من تحريف النساخ .

ومن الواجب علينا ان نعترف بأن الفهارس التي نشرها الاستاذ البستاني في آخر الكتاب قليلة الجدوى لأنها غير مرتبة على الحروف بل وضعت هكذا اعتباطاً على غير قاعدة واذا لم يراع في الفهارس ترتيب ما فما ندري ما وجه إثباتها . وهناك حاشية معادة (ص ٦ و٢٣) وخطأ في قراءة المخطوطة كما سيأتي .

وفي الكتاب أغلاط كثيرة كان على الناشر الفاضل أن يعرضه على أخبر منه في العربية ليتداركها له ونحن مشيرون الى اهمها :

(١) ص ٦٤ ، ٦٥ (٢) ص 19

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فمنها ما يعود الى الرسم كهذه الكلمات :

تحيي وصوابها تحيا — دعى وصوابها دعا — الاستأذان وصوابها الاستئذان فتفقنا وصوابها فاتفقنا مؤريخي : مؤرخي — ا المبديء : المبدئ — المنشيء : المنشئ ٢ علي ابن سعد : علي بن سعد — ٦ عن من : عمن — ٣٥ أولائك : أولئك ٤٤ سبي نسائهم : سبي نساءهم — ٥٩ بنوا عبيد : بنو عبيد ، بنوا منديل : بنو منديل

ومنها ما يعود الى ضعف في عربية الناشر وخطئه في قراءة المخطوطة وعدم اهتدائه الى تحريف النساخ والإشارة الى الصواب فيه :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
٢ حدوث	حروب	٢٩ مدافاً	مدافعاً
٥ انبثها	اثبتها	٣٦ فارتحل	ارتحل
الانتفاض	الانتقاض	٤٠ المسلمون	المسلمين
٧ يأمراهم	يأمرانهم	٤٤ والمعدومين	والمعدمين
بل والدنو	بل الدنو	٤٦ زمامتهم	ذمامتهم
٨ يعلموهم	يعلمونهم	٤٧ ان يعينونه	أن يعينوه
٢٤ نفذ	نفد	٤٧ ثلاثة سنين	ثلاث سنين
٢٦ وقتل منه خلقاً : وقتل معه خلق		٧٧ ليعاقبونهم	ليعاقبوهم

وهناك نقص وابهام في بعض الجمل فقوله ص ٨ (نعمل الحيلة في الدخول عليهم والتقصير والتفريط .) فيه نقص لم ينتبه اليه الناشر وقوله ص ٢٧ (ولم يتركوا شيئاً الا سقف المدينة خاصة) و ص ٤١ (اضمروا عليه الا عفوهم من حينهم) مما لا يفهم في الجملتين تشويه كان على الناشر أن يجتهد في ازالته ليتضح معنى المؤلف. وهذه المآخذ كثيرة في هذه الرسالة الصغيرة التي لا تتجاوز ٤٨ صفحة .

وهذا بعض ما رأينا في مقدمته هو من اغلاط عدا التي مرت في أغلاط الرسم بالرقم الفرنجي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خطأ	صواب	خطأ	صواب
3 فهابهم جلال المكان	فهابوا جلال المكان	الأمتين التي	13 الامتين اللتين
8 الخضيل	الخضل	عدا عن الأغلاط	17 عدا الأغلاط
11 سوريا	سورية	لوحده العصمة	19 له وحده العصمة
12 يغيرون	يغارون		

وقوله ص 11 : (بينما كان العراق بتفرس وسوريا تترك ومصر تتطور بتأثيرهم وتتأثر بتطورهم) غير صحيح ولو قال كاد بدل كان لكان لذلك وجه .

ولا تخلو لغته من ركاكة كتتابع الإضافات في قوله ص 7 « من تاريخ مراحل آخر ايام مجدك » وكقوله ص 11 : « بدرجات سلم المقاييس الأدبية المرهونة بحرارة مزاج أعصاب الفاتحين »

ومع أملنا الوطيد في أن الاستاذ البستاني سيأخذ نصيحتنا المخلصة أخذ الغيور على لغته ليس يسعنا الا أن نثني على عاطفته العربية الحارة التي أشعرنا بها في أول الكتاب وان نتمنى على الله أن يوفقه في نشر تحفنا الضائعة وأن نعود فنشكره في هذه المجلة ثانية وثالثة ان شاء الله [1]

سعيد الافغاني

---

(١) في آخر القسم العربي من الكتاب رسالة بث بها عبد الله محمد بن نصير سلطان غرناطة إلى الدون خوان الثاني سلطان قشتاله وليون بتاريخ ٥ من ذي القعدة عام ٨٤٦ هـ مع صورتها الفتوغرافية وهي بأسلوب غريب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net